

يَا إِخْوَتِي الْأَعْرَاءَ،

لَأَنَا نَفَهُمْ مِنْ سِيَاقِ الْآيَةِ الْجَلِيلَةِ أَنَّا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
عَنَّا مَعَاصِينَا، فَلَا يَسْعُنَا إِلَّا أَنْ نَصْبِرَ وَنُسَامِحَ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ
كَذَلِكَ. وَإِنَّ الْحَبِيبَ الْمُصْطَفَى ﷺ كَانَ قُرْآنًا يَمْشِي. فَشَخَّصَ مَا
فِيهِ إِلَى أَدَقِّ التَّفَاصِيلِ فَطَبَّقَهُ فِي حَيَاتِهِ. فَرَوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ
نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةِ. فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً،
حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَّةُ
الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: "مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ!"
فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ﷺ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ³ مَا أَسْمَحَهُ وَمَا
أَصْبَرَهُ!

وَنَحْنُ كَمُؤْمِنِينَ - عِنْدَمَا نَسْمَعُ مِثْلَ هَذِهِ الْوَقَائِعِ فَلَا يَسُوعُ لَنَا أَنْ
نَعْتَدِرَ بِأَنَّهُ ﷺ كَانَ نَبِيًّا وَنَحْنُ لَسْنَا بِأَنْبِيَاءَ! فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ بَشَرًا
كَذَلِكَ. بَلَغَ تِلْكَ الْمَرَاتِبَ الْعَالِيَةَ بِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ. فَعَلَيْنَا بِاتِّبَاعِ
آثَارِهِ وَالطَّرِيقِ الَّذِي قَدْ وَطَّاهُ لَنَا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءَ،

إِنَّ حَيَاتَنَا تَرْتَكِزُ عَلَى رِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. حَتَّى عَفْوُنَا
وَعُضْبُنَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِرِضَا اللَّهِ. وَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ (رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهَا) فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ: «وَاللَّهِ مَا أَنْتَمُ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى
إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ»⁴
وَهَذَا الَّذِي يُنَاسِبُ وَقَارَ الْمُسْلِمِ. فَإِنَّهُ لَا يَهْتَمُّ بِمَا عُرِضَ عَلَيْهِ مِنْ
الْأَذَى، بَلْ يَعْضَبُ حِينَ تُنْتَهَكَ حُدُودُ اللَّهِ، فَيَمْنَعُ ذَلِكَ بِيَدِهِ، فَإِنْ
لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِقْلِهِ. وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رِيَاءً
النَّاسِ، بَلْ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَلَكِنْ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ
قَالُوا «سَلَامًا»، فَلَمْ يَلْغُوا بَلَّ مَرُوءًا كِرَامًا.

حَفِظْنَا اللَّهَ وَجَعَلْنَا مِمَّنْ يُسَيِّطِرُ عَلَى نَفْسِهِ، وَجَعَلْنَا مِمَّنْ يَعْفُو
وَيَعْفِرُ لِرُؤُوسِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَمَسَّكُ بِالْوَسْطِ فِي أَحْوَالِهِ كُلِّهَا. فَهُوَ وَفُورٌ غَيْرٌ أَنَّهُ
مُتَوَاضِعٌ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ. وَالْمُؤْمِنُ مُسَامِحٌ غَيْرٌ أَنَّهُ يَعْضَبُ حِينَ
تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ. وَالْمُؤْمِنُ يَتَّقُ بِنَفْسِهِ غَيْرٌ أَنَّهُ لَا يَسْتَكْبِرُ.
وَالْمُؤْمِنُ يَجْتَهِدُ حَتَّى يُوفَّقَ غَيْرٌ أَنَّهُ لَا يَغْتَرُّ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ بِأَنَّ التَّوْفِيقَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَأَنَا كُلَّ يَوْمٍ نَلْقَى أَنَا سَا مُخْتَلِفِينَ فِي أَوْضَاعٍ مُتَوَعَّةٍ. وَتَخْتَلِفُ
كَيْفِيَّةُ مُعَامَلَاتِنَا عَلَى حَسَبِ الشَّخْصِيَّاتِ وَالْأَحْوَالِ. أحيانًا تَتَفَقَّرُ
الْقُلُوبُ فَتَتَّصَدَّقُ بِتَبَسُّمٍ فِي وَجْهِ أَخِيكَ. وَأحيانًا قَدْ تَظَلَّمُ بِغَيْرِ
حَقٍّ. فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ - حَتَّى فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ - أَنْ يَسْتَقِيمَ
وَيَتَحَرَّكَ عَلَى مُقْتَضَى الضُّوَابِطِ الْإِلَهِيَّةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَنْ يَكْتَمِلَ إِلَّا إِذَا انْعَكَسَ فِيهِ صِفَاتُ الْبَارِي تَعَالَى.
فَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ:
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾¹

يُلَقِّنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَيْفَ نَرُدُّ عَلَى الْأَذَى. فَيَأْمُرُنَا
بِالْوَقَارِ وَالتَّوَضُّعِ حَتَّى إِذَا تَعَارَضْنَا عَلَى أَذَى الْجُهْلَاءِ. فَطَلَبَ مِنَّا
أَنْ نَصْبِرَ وَنَرُدَّ بِشَكْلِ يَفْتَحُ الْبَابَ لِلتَّفَاهُمِ وَالسَّلَامِ. وَيُدَكِّرُنَا فِي
نَفْسِ الْوَقْتِ أَنَّنَا ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ لَا غَيْرَ. فَنفَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّمَا
التَّسَامُحُ فَضْلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الَّذِي لَا انْتِهَاءَ لِإِحْسَانِهِ. وَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ يُوضِّحُ لَنَا بِهِ مَعْنَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَلُطْفِهِ أَنْ: «لَيْسَ
أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ. إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًّا، وَإِنَّهُ
لَيَعَانِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»²

إِخْوَتِي الْكِرَامَ،

عِنْدَمَا ذَكَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى بِعُبُودِيَّتِنَا لَهُ قَدْ حَذَرْنَا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ.

³ صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، ١٩، رقم الحديث (٣١٤٩)

⁴ صحيح البخاري، كتاب الحدود، ١٠، رقم الحديث (٦٧٨٦)

¹ سورة الفرقان: ٦٣

² صحيح البخاري، كتاب الأدب، ٧١، رقم الحديث (٦٠٩٩)